من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الزمكانات

د. سامي محمد صالح الدلال

المحتويات

مدخل

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه واقتدى بسنته إلى يوم الدين . وبعد .

إن موضوع " الزمن " قد لاقى اهتماماً كبيراً لدى العلماء ، من حيث كونه ذو دلالة قصوى في المسيرة الكونية مع ما ينعكس منها على طبيعة الحياة البشرية .

إن هذا المبحث الموجز يسلط الضوء على الإعجاز العلمي في بعض آيات القرآن الكريم فيما يخص موضوع الزمن ومن ثم " الزمكان " ، وقد تطرقت في هذا المبحث إلى عدة موضوعات متعلقة بهذه الدراسة ، مبتدأ تعريفات ونتائج ، ثم ذكرت التحديد القرآني الدقيق لمرجعية الزمن باعتبار المرجعية النفسية والمرجعية الفلكية وذلك بحسب التقويمين الشمسي والقمري ، ثم تطرقت إلى الحديث عن الزمن بين إحداثيين (زمكانين) في حالتي اليقظة والنوم ، ثم عرجت على الحديث عن نسبية الزمن ثم علاقة الزمكان بالحدث ، وكذا تغير الزمن بحسب الزمكانات ، ثم ذكرت اختلاف التقديرات الزمنية لحادثة واحدة وذلك بحسب زمكان الراصد ، ثم تطرقت إلى موضوع هام جداً وهو افتراق الزمكانات واتحادها ، ثم الانتقال بين الزمكانات ، ثم ختمت بالحديث عن سهم الزمن مما له علاقة بموضوعنا .

وقد عالجت هذه الموضوعات جميعاً من خلال ذكر أمثلة من آيات الذكر الحكيم ، حيث اعتبرتها هي منطلق الدراسة ليتبين لنا الإعجاز العلمي المبهر في كتاب الله تعالى ما كان من الحق فمن الله وحده وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تعريفات ونتائج

- **الزمن :** هو الوعاء الوقتي للحدث .
- **تصنيفات الزمن**

ينظر إلى الزمن وفق التصنيفات التالية : -

- الزمن الكوني : يتعلق بحركة الشمس والنجوم والمجرات

- الزمن الجغرافي : يتعلق بحركة الأرض حول الشمس وحول نفسها ، وبحركة القمر حول الأرض .

- الزمن الجيولوجي : يرتبط بكل من الزمنين الكوني والجغرافي ويتعلق بالتغييرات الجيولوجية على الأرض والكواكب .

- الزمن البيولوجي : يتعلق بالبنية الحية لكل مخلوق . ويختلف بحسب الأفراد والأصناف والظروف . وسيأتي



تفصيله لاحقاً تحت عنوان خاص به .

– الزمن في عالم الغيب : يعلمه الله تعالى .

• **المكان :** هو الوعاء البعدي (ذو أبعاد) للحدث .

• **الحدث :** هو المستوعب في الزمان والمكان .

• **هيئة الحدث :** هي ما يتمثله الناظر للحدث ، كل بحسبه (أي بحسب الناظر) وهي دوماً في حركة .

• **مواصفات الحدث** (لون ، رائحة ، طعم ، صوت ، إحساس شعوري ، حس لمسي ، مواصفات أخرى) : هي ما يتشكل في ذهن الناظر بشأن حدث معين ، كل بحسبه (أي بحسب الناظر) .

• **الحقيقة والمنظور : -**

الحقيقة : لا يعلمها على وجهها إلا الخالق سبحانه .

المنظور : لا يمثل دوماً الحقيقة ، بل بحسب الناظر .

• **الموجود والمعدوم : -**

الموجود : هو كل ما خلقه الله .

المعدوم : هو الذي لم يوجد .

• **الشهادة والغيب : -**

الشهادة : هي المشهود للناظر كل بحسبه .

الغيب : هو الموجود لكنه غير مشهود للمشاهد الذي لا يملك مواصفات إدراكه أو الإحاطة به .

نتائج : -

أ – لم يكن ثمة زمان ولا مكان ، بل " كان الله ولم يكن معه شيء " (1) .

فالله تعالى (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ) (الحديد : 3) .

ب– كل منظور من قبل أي ناظر نسبي (ماعدا الخالق سبحانه)

أي أن : العلاقة بين الناظر والمنظور نسبية .



جـ- العلاقة النسبية بين الناظر والمنظور شمولية (أي تشمل الأجزاء كلها) .

د - وحدة النسبية بين الناظرين والمنظورين تؤدي إلى استقرار العلاقة النسبية .

هـ - استقرار العلاقة النسبية يؤدي إلى تناسب استقراري للتعامل بين الناظرين (كفئة) والمنظورين (كفئة) والناظرين والمنظورين (كفئة) .

التحديد القرآني الدقيق لمرجعية قياس الزمن

وأقصد به مرجعية " الراصد " أو " المراقب " .

جاء الإعجاز القرآني في هذا الجانب من كونه حدد حالتين تخصان المرجعية الزمنية .

الأولى : مرجعية نفسية شعورية متعلقة بالطور العمري للراصد .

الثانية : مرجعية كونية متعلقة بما يساعد على تثبيت اللحظة التي يبدأ منها القياس ، وهي شمسية أو قمرية، أو هما معاً .

الزمن بين إحداثيين (زمكانين)

يمكننا بسهولة ملاحظة إمكانية ازدواجية عمل وحدة " تقديرالزمن " في المخ ، وهذا يعتمد على عدة مؤثرات. ونميز منها حالتين رئيستين تعملان في إحداثيتين (زمكانين) مختلفين ، الأولى : الزمكان في حالة اليقظة والثانية الزمكان في حالة النوم ، ومثالها الرؤى الواردة في سورة يوسف وهي أربعة : -

١ - رؤيا يوسف عليه السلام لوالديه ساجدين له .

٢ - رؤيا الذي يعصر خمراً .

٣ - رؤيا الذي يحمل فوق رأسه خبزاً .

٤ - رؤيا الملك .

وسنسلط الضوء على كل رؤيا من خلال ثلاثة أمور : - (انظر الشكل)

١ - مدة الحدث في الرؤيا : وهو أن يوسف رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين . يمكننا أن نقدر مدة هذا الحدث بما يعادل دقيقة ونصف مثلاً .

٢ - المدة التي استغرقتها الرؤيا بحسب الراصد 8 ثوان مثلاً .

٣ - المدة في اليقظة والتي تحققت فيها الرؤيا وهي حوالي ٣٣ عاماً .



نسبية الزمن

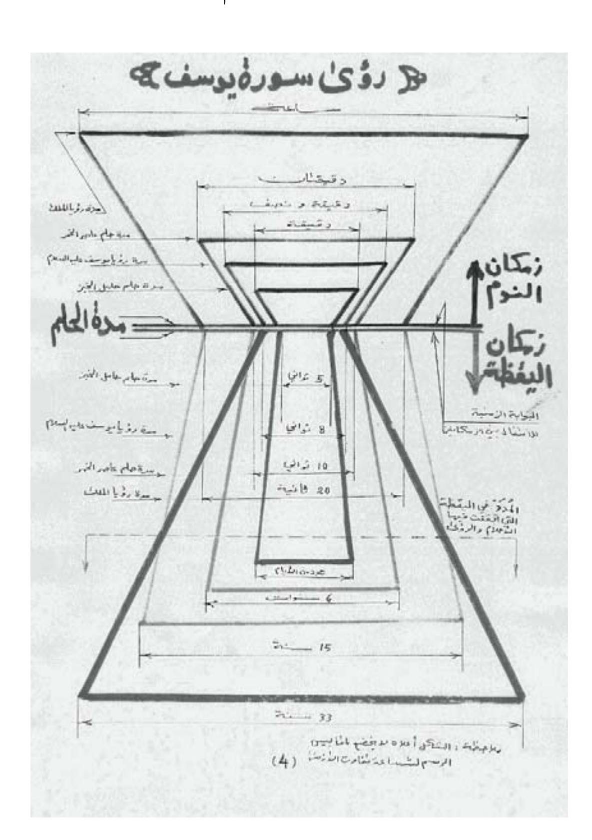
نفترض أن شخصين ، كل منهما في زمكان يختلف عن الآخر ، وأنهما يتابعان حدثاً واحداً ، بحيث إن " الحدث " استغرق ٤ سنوات لدى الشخص الأول ، لكنه استغرق دقيقتين لدى الشخص الثاني وذلك وفق قياس زمني مرجعي لدى كل منهما .

فما هي نسبية الزمن بينهما .

إن $\frac{١}{٢}$ دقيقة لدى الشخص الثاني تعادل سنة لدى الشخص الأول

أي ٣٠ ثانية لدى الشخص الثاني تعادل ٣٦٠ يوماً لدى الشخص الأول (اختصرنا ٥ أيام للتقريب)

أي الثانية الواحدة لدى الشخص الثاني تعادل $\frac{٣٦٠}{٣٠}$ = 12 يوماً لدى الشخص الأول




المحتويات

ولا شك أن النسبة ستكون أكبر بكثير فيما لو أن القياس المرجعي في إحداثيات الشخص الأول سجل مرور ١٠٠ سنة لنفس الحدث ، في حين سجل القياس المرجعي في إحداثيات مركز تقدير الزمن للشخص الثاني مرور ١٠ ثوان فقط لنفس الحدث .

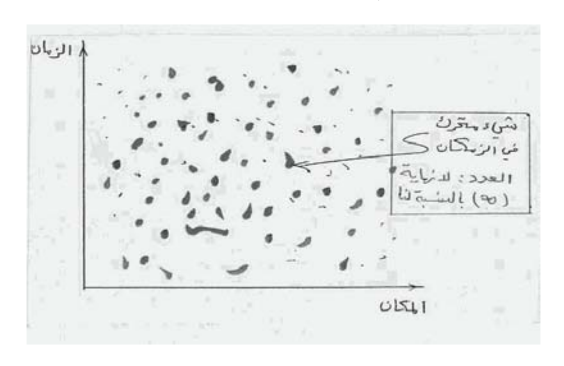
فعندها ، الحدث الذي مدته ثانية واحدة على إحداثيات الشخص الثاني تكون مدته ١٠ سنوات على إحداثيات الشخص الأول .

فإذا أدركنا هذا جيداً ، فلعلنا نقترب كثيراً من فهم قوله تعالى (مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (٦) وَنَرَاهُ قَرِيباً (٧)) (المعارج : ٣ – ٧) . ومحل الشاهد قوله تعالى : (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (٦) وَنَرَاهُ قَرِيباً) ، والحدث واحد وهو يوم القيامة، ومثلها قوله تعالى : (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) (الأحزاب : ٦٣) وقوله تعالى : (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً) (الإسراء : ٥١) . أي أن زمن وقوعها عند الله تعالى قريب ولكن بمقياسكم الزمني البشري بعيد . وقد ورد في القرآن أيضاً ما يعزز ذلك، كما قال تعالى : (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة : ٥) . أو كقوله تعالى : (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (الحج : ٤٧) .

الزمكان والحدث

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران : ٥) .

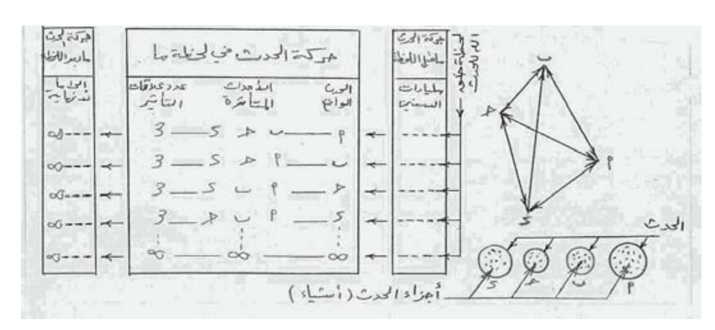
إن كل حدث من هذه الأحداث اللانهائية الحد (بالنسبة لنا) مشمول بعلم الله تعالى ظاهراً وباطناً . (وننتبه هنا لقوله تعالى (لا يخفي) . فهو يفيد عدم خفاء باطن الشيء أيضاً) ولعل الشكل أدناه يوضح ما ذكرناه : –



كما يفيد عدم خفائه فيما مضى وفيما يأتي ، أي الماضي والمستقبل ، كما يفيد ما خفي من علاقة تأثير تبادلية لكل حدث أحدثه " الشيء " مع كل حدث آخر حدث في كل " شيء " .

إن " كل شيء " في الكون له في " كل لحظة " علاقة مع " كل شيء آخر " في الكون يصل ضوءه إليه . إن كلمة كل لحظة تفيد أن قبلها " ماضي " وما بعدها " مستقبل " وهو خاف في تلك اللحظة ، لكن الله تعالى يعلمه .

ولتصور ما يعني ذلك ، فإننا لو تخيلنا أربعة " أحداث " هي أ ، ب ، جـ ، د ، وكل حدث مكون من أجزائه من " الأشياء " . فإن هناك علاقة تأثير تبادلية ستكون بين كل منها . كما هو موضح أدناه : –



تغير الزمن بحسب الزمكانات

(نقل عرش الملكة بلقيس)

بحسب الإنسان ، وفق نظرته القاصرة وعلمه المحدود ، فإنه ليس ثمة زمكان في الكون إلا زمكاناً واحداً . بعض علماء الفيزياء توصلوا رياضياً إلى أن الإحداثيات لا تقف عند العدد أربعة ، بل قد تصل إلى إحد عشر إحداثياً .

لكن الإعجاز العلمي المبهر في كتاب الله تعالى قد بين أن الأبعاد ، ومنها الزمكان ، لها معطيات أخرى غير التي تعارف عليها الإنسان ، سواء ما كان قد وقع تحت إمكان الإحساس به ، كالأبعاد الأربعة ، أو التي لا يمكن الإحساس بها ، مما هو فوق الأربعة حسب بعض النظريات العلمية الحديثة ، وقد جاء ذلك واضحاً في كتاب الله تعالى عند الكلام على قصة النبي سليمان عليه السلام عندما سأل ملأه وهو في فلسطين عن أيهم يأتيه بعرش الملكة بلقيس ، وهي في اليمن !! . سأذكر الآية أولاً ثم أسوق التعليق عليها فيما يخص موضوع الزمكان فقط ، قال الله تعالى : (قَالَ)– أي سليمان –(يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل : ٣٨ – ٤٠) .

نحن الآن أمام ثلاثة تقديرات زمنية منسوبة إلى ثلاثة زمكانات : -

- تقدير الزمن لدى سليمان عليه السلام (قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) – الزمكان الكوني منسوباً إلى معطيات الإنس – ،

- تقدير الزمن لدى عفريت من الجن (قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) – الزمكان الكوني منسوباً إلى معطيات الجن – .

- تقدير الزمن لدى الذي عنده علم من الكتاب (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)- الزمكان الكوني منسوباً إلى معطيات الذي عنده علم من الكتاب – .

والحادثة واحدة ، وهي نقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين .

وأمامنا الآن ثلاثة احتمالات : –

الأول : أن معطيات تقدير الزمن في الزمكانات الثلاثة لدى الثلاثة واحدة . (الثلاثة هم : سليمان عليه السلام والجني والذي عنده علم من الكتاب) .

الثاني : أن معطيات تقدير الزمن لدى زمكاني العفريت والذي عنده علم من الكتاب واحدة ، وهي تختلف عن معطيات تقدير الزمن لدى زمكان سليمان عليه السلام .

الثالث : أن معطيات تقدير الزمن في الزمكانات الثلاثة لدى الثلاثة مختلفة .

فعلى الاحتمال الأول وهو أن معطيات تقدير الزمن في الزمكانات الثلاثة لدى الثلاثة واحدة ، فقد علمنا من الآية أن الذي عنده علم من الكتاب استطاع نقل عرش بلقيس في زمن أقل من طرفة عين . وهذا محتمل من الناحية النظرية ، فالمسافة بين اليمن وفلسطين لا تتجاوز ثلاثة آلاف كيلومتر ، فلو كانت سرعة نقل العرش تعادل واحد بالمائة من سرعة الضوء (أي ثلاثة آلاف كلم / ثا) لاحتاج نقل العرش إلى ثانية واحدة ، وهي تعادل طرفة عين !! .

لكن من الناحية العملية يصعب تصوره . إذ إن عرش بلقيس ليس في أرض فضاء ، إذ لابد أن يكون في قاعة عظيمة تليق بالملوك . ولابد أن له أبهة كبيرة وزخارف ومعلقات وحواش وملحقات . ولاشك أنه مثبت في قاعة الملك بما يمنع تزحزحه أو تحريكه ، أو أن ثقله يمنع ذلك . كما أن إخراجه من القاعة الملكية في اليمن فيه إشكال آخر ، فهو إما أن يخرج كما هو وهذا يعني إزالة جزء من سقف القاعة الملكية ليتم إخراجه منه ، أو أن يفكك العرش ويخرج من القاعة ويشحن بطريقة ما إلى فلسطين ثم يعاد تركيبه بعد إدخاله القاعة التي كان فيها سليمان عليه السلام ليرجع كما كان تماماً ، وهذا كله في طرفة عين . هذا فضلاً عن الحراسة المخصصة لحمايته وحفظه ودرء الأخطار عنه !! .

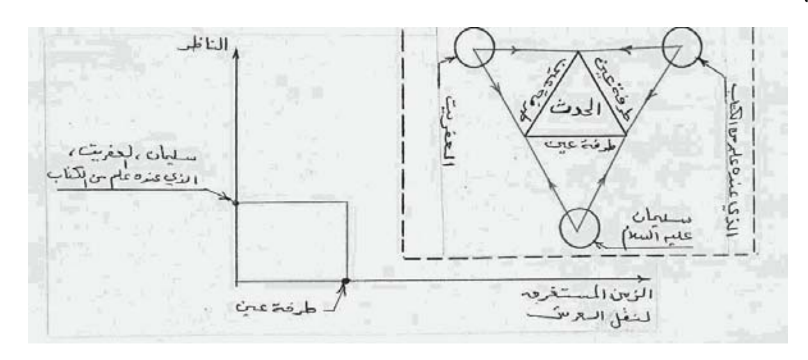
إن تصور إمكانية ذلك يحتاج إلى حشد كم هائل من الأعمال في الذهن لتتجسد في منتج واحد ، على أن يتم



هذا الحشد وإتمام التصور خلال طرفة عين ، وهذا متعذر ذهنياً ، وبالتالي فهو أكثر تعذراً عملياً من وجهة نظر معطيات " التقدير الزمني " لدى زمكان الإنسان ، ولكن يحل الإشكال أن الذي فعل ذلك (عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ) ، وهذا يعني أن هذا الفعل مقدور وممكن لكنه يحتاج إلى (عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ) ، وأن هذا " العلم من الكتاب " يمكن الحصول عليه ، بدليل أن الذي نقل عرش بلقيس كان عنده ذلك العلم ، ولكن هذا العلم الذي من الكتاب ليس متيسراً لكل أحد بل يؤتيه الله من يشاء من خلقه . هذا بالنسبة للذي عنده علم من الكتاب .

وأما العفريت من الجن فقد وعد أن يأتي بالعرش قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مقامه الذي هو فيه . ونحن لا نعلم بالضبط كم كان قد بقي من الزمن حتى يقوم سليمان عليه السلام من مقامه . لكنه في كل حال لايتجاوز ساعات حسب تقدير الزمن المعتاد .

وبيانياً كالتالي : -



أما الاحتمال الثاني : فهو توحد معطيات التقدير الزمني لدى زمكاني كل من العفريت الذي من الجن ولدى الذي عنده علم من الكتاب ، مع اختلافه عن معطيات التقدير الزمني التي لدى زمكان سليمان عليه السلام في هذه الحالة فإن التنافس بين العفريت وبين الذي عنده علم من الكتاب ليس في القدرة على تنفيذ أمر سليمان عليه السلام المتعلق بنقل العرش ، بل في أيهما أسرع في أداء ذلك ، على اعتبار أن كليهما يعملان في إحداثيات زمكانية واحدة . ويمكن تصور ذلك إذا اعتبرنا اختلاف إحداثيات الزمكان بين كل من العفريت والذي عنده علم من الكتاب من جهة وزمكان سليمان عليه السلام من جهة أخرى . بمعنى أن ما يعتبر ساعات أو أيام أو أسابيع أو شهور لدى العفريت أو لدى الذي عنده علم من الكتاب ما هو إلا برهة صغيرة بالنسبة لسليمان عليه السلام أو بالنسبة للبشر عموماً ، بمن فيهم بلقيس أيضاً ، وعلى هذا التصور لا يوجد أي إشكال، فخلال الزمن المديد لدى كل من العفريت ولدى الذي عنده علم من الكتاب هناك إمكانية متوفرة لفك عرش بلقيس من مكانه والإتيان به ليعاد تركيبه بدقة غير متناهية أمام سليمان ، وهذا الفعل الذي امتد زمناً طويلاً

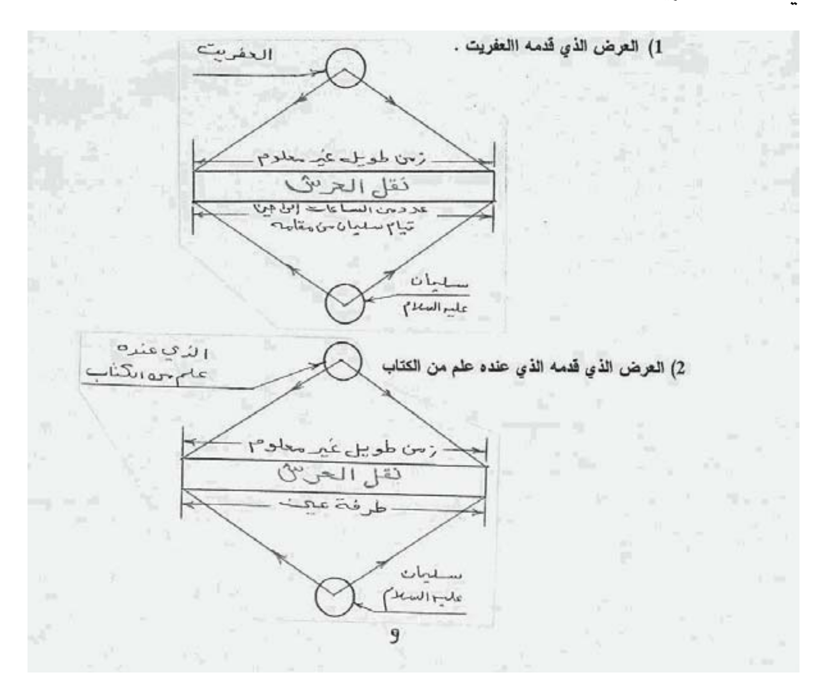
باعتبار معطيات التقدير الزمكاني لدى الذي عنده علم من الكتاب هو في الواقع يعادل " طرفة عين " باعتبار معطيات التقدير الزمكاني لدى سليمان عليه السلام .

ولعل بعض الناس لا يستطيعون استيعاب ذلك بسهولة ، ولأجل تقريبه فليتصور أحدهم أنه نام لبرهة قصيرة، وفي " لحظة " من لحظات نومه رأى أنه قام بتفكيك سيارة في اليمن ثم شحنها بالطائرة إلى فلسطين ثم أعاد تركيبها وعرضها في معرض لبيع السيارات . ثم أفاق بعد أن استغرق حلمه " لحظة " .

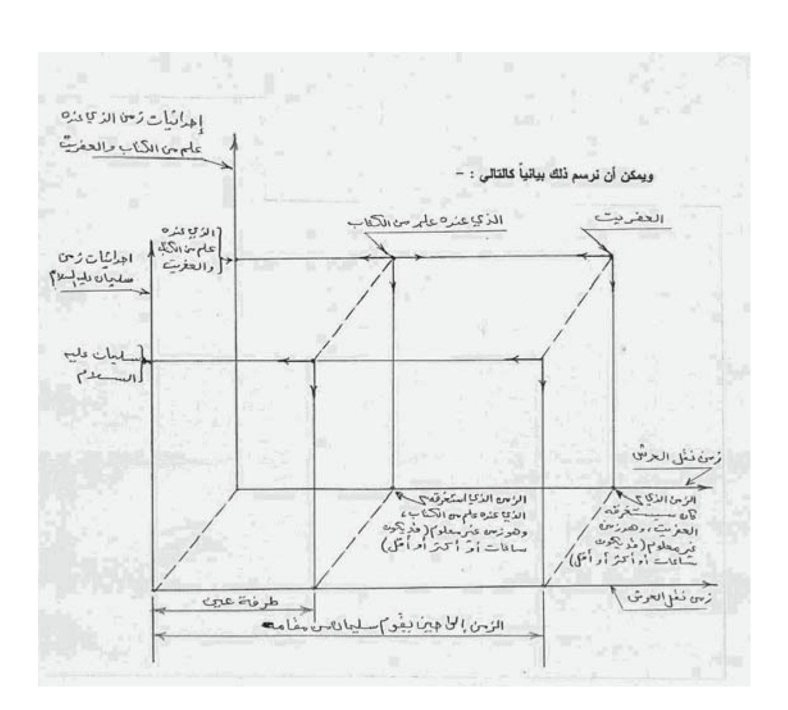
فلو كان حلمه متجسداً في الواقع حسب معطيات " التقدير الزمني في الزمكان " الذي كان في الحلم لرأى السيارة تباع في معرض بيع السيارات حقيقة . وأحيل القارىء إلى الموضوع السابق المتعلق بمعطيات الإحداثيات خلال الأحلام .

ويمكن تمثيل هذه الحادثة كالتالي : -

١) العرض الذي قدمه االعفريت .







ويلاحظ من الرسم البياني أن الزمن الذي استغرقه نقل العرش على إحداثيات الزمن المعتاد (إحداثيات زمن سليمان عليه السلام) وهو " طرفة عين "، قد أصبح زمناً غير محدد بالنسبة لنا على إحداثيات العفريت والذي عنده علم من الكتاب .

كما يلاحظ أن الزمن الذي كان سيستغرقه العفريت لنقل العرش على الإحداثيات الموحدة له وللذي عنده علم الكتاب هو أطول في تلك الإحداثيات من الزمن الذي استغرقه الذي عنده علم من الكتاب .

وقياساً على إحداثيات زمن سليمان هو أطول أيضاً من الزمن إلى حين يقوم سليمان عليه السلام من مقامه .

أما الاحتمال الثالث : وهو اختلاف معطيات الزمكانات لدى الثلاثة .

أي لدى سليمان عليه السلام ولدى العفريت من الجن ولدى الذي عنده علم من الكتاب ، أي لكل منهم معطيات خاصة به لتقدير الزمن ، كل بحسب الزمكان الذي ينسب إليه .

في هذه الحالة لدينا عرضان ، ولكن كل عرض منسوب إلى " معطيات الزمكان " لدى الذي قدمه ، وذلك حسب قدرته في التحرك ضمن مفهوم " معطيات الزمكان " لديه .

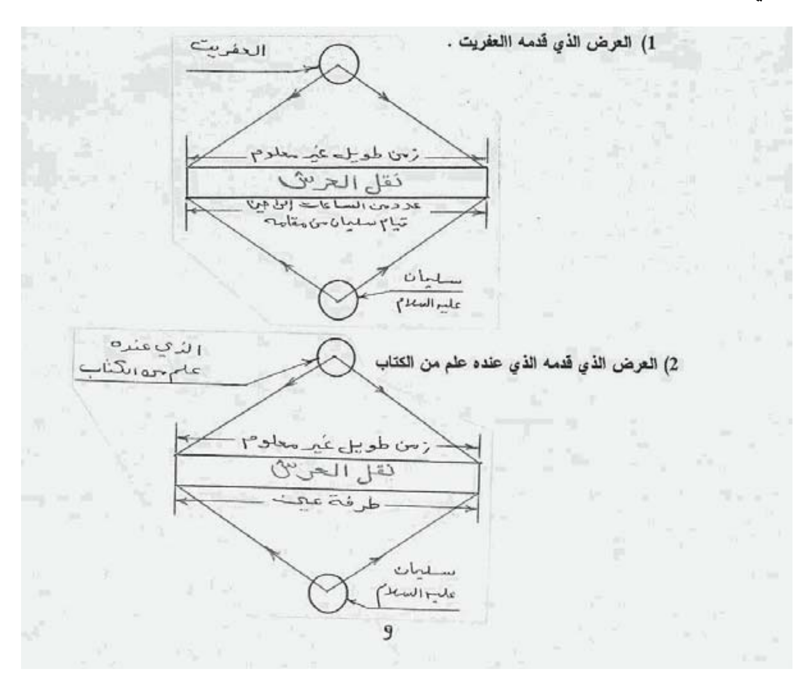
وعليه فإن لدينا ثلاثة إحداثيات تتعلق بتقدير الزمن .

الإحداثية الأولى متعلقة بتقدير الزمن لدى سليمان عليه السلام بحسب زمكانه .

والإحداثية الثانية متعلقة بتقدير الزمن لدى العفريت من الجن بحسب زمكانه .

والإحداثية الثالثة متعلقة بتقدير الزمن لدى الذي عنده علم من الكتاب بحسب زمكانه .

ويبين الشكل التالي تصوراً لذلك .



ثم الرسم البياني يوضح الإحداثيات الثلاثة .

ثم الرسم البياني يوضح الإحداثيات الثلاثة .

إن الاحتمال الثالث هو الذي أرجحه . فالذي (عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) كان لديه متسع كبير من الزمن لنقل العرش بحسب الإحداثيات الزمنية التي يتحرك في إطار زمكانها .

ذلك المتسع من الزمن كان بالنسبة للإحداثيات الزمنية في زمكان سليمان عليه السلام يعادل مجرد طرفة عين .

أما " العفريت من الجن " فأيضاً كان لديه متسع كبير من الزمن لنقل العرش بحسب الإحداثيات الزمنية التي يتحرك في إطار زمكانها . ذلك المتسع من الزمن كان بالنسبة للإحداثيات الزمنية لسليمان عليه السلام يعادل مدة جلوس سليمان قبل أن يقوم من مقامه .

لقد بين الإعجاز العلمي القرآني كيف يمكن للمادة (وهي العرش في مثالنا هذا) أن تنتقل من مكان إلى مكان



بما يعادل سرعة طرفة العين وذلك من خلال نقلها إلى إحداثيات زمكانات جديدة ثم إرجاعها إلى إحداثيات الزمكان الأولى التي كانت فيه ، دون أن يتبدل حال شيء منها ، كلياً أو جزئياً .

علينا أن نلاحظ أن نظرية آنشتاين بشأن " استطالة الزمن " بين جسمين منطلقين بسرعة كبيرة لا نستطيع إعمالها في مثالنا هذا ، ذلك أن تلك النظرية يمكن تطبيقها إذا كان الجسمان ينطلقان في نفس الزمكان . لكن حالتنا هذه أن الزمكان لكل من سليمان عليه السلام وللعفريت وللذي عنده علم من الكتاب يختلف عن الآخر . أي لكل منهم زمكان خاص به ، ومما يؤكد ذلك أننا لو طبقنا معادلة آنشتاين بشأن استطالة الزمن لما انطبقت على الوصف الذي جاء في القرآن الكريم .

فلو افترضنا أن العفريت أو الذي عنده علم من الكتاب كانت سرعته بحسب زمكان سليمان هي ٠.٩٩٩٩٩٩ من سرعة الضوء ، ثم طبقنا معادلة آنشتاين لوجدنا أن : −

$$ز_{\text{سليمان}} = ز_{\text{الذي عنده علم من الكتاب}} \times \frac{\frac{ع}{س}-1}{\frac{ع^2}{س^2}-1} = ز_ع \times \frac{0.999999-1}{(0.999999)^2-1} = ز_ع \times 0.707113$$

$$\text{فإذا كان } ز_{\text{سليمان}} = \text{طرفة عين} = 10^{-3} \text{ ثانية} = ز_ع \times 0707113$$

$$\therefore ز_ع = \frac{10^{-3}}{0.707113} = 1414.2 \text{ ثانية} = 23.57 \text{ دقيقة}$$

وهذا الوقت غير كاف لتفكيك العرش ونقله من اليمن إلى فلسطين وإعادة تركيبه مرة أخرى بحسب زمكان سليمان . إن الإعجاز القرآني هنا يشير إلى أن الإنسان (وما في حكمه من المادة) له زمكان ، وأن الجن له زمكان ، وأنه توجد زمكانات أخرى ، منها الزمكان الذي تحرك ضمن إحداثياته الذي عنده علم من الكتاب .

وعندما أقول إن للجن زمكان وللذي عنده علم من الكتاب زمكان ، فهذا لا يعني أنهم يتحركون في أربعة أبعاد فقط ، فلربما كانت لهم أبعاد في الحركة أكثر من ذلك ، لكنني خصصت منها أبعاد الزمكان فقط لأنها هي محل موضوعنا .

اختلاف التقديرات الزمكانية لحادثة واحدة

قصة أصحاب الكهف

خير مثال لذلك قصة **أصحاب الكهف** .

لقد خالف الفتية قومهم في شركهم ، فوحدوا الله تعالى ودعوا قومهم إلى ذلك ، فأبوا عليهم ، فاعتزلوهم ، ثم آواهم المبيت إلى كهف في الجبل . قال تعالى :(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً



(٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً) (الكهف : ١٠) . فلما دخلوا الكهف ناموا جميعاً ومعهم كلبهم . من هذه اللحظة يبتدىء عد الزمن التصاعدي لكلا الطرفين أو الحزبين ، الفتية وقومهم . ولما كان الحال يختلف بينهما فلا بد من اختلاف تقدير الزمن بينهما كذلك . قال تعالى : (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً) (الكهف : ١٢)

عندما أفاقوا كانت هناك ثلاثة تقديرات زمنية .

التقدير الأول : هو تقدير الفتية . قال تعالى (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) (الكهف : ١٩) . لقد كان لديهم شعور ثم استدراك . الجميع شعروا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم . إلا أن أشكالهم قد تغيرت بصورة كبيرة لا تتناسب مع هذا التقدير ، فاستدركوا وقالوا (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) . وهذا الاستدراك غير محدد إلا أنه لا يمتد في أذهانهم إلى سنوات ، بل لعله لا يتجاوز أياماً ، بدليل أنهم تصرفوا بعد ذلك من هذا المنطلق . فقد استعملوا نفس العملة النقدية التي كانت بحوزتهم وأوصوا صاحبهم أن يكون حذراً لدى شرائه حاجاتهم خشية أن يعرف قومهم مكانهم فيأخذوهم ليرجموهم أو يكرهوهم على العودة إلى الكفر والشرك . قال تعالى حكاية عنهم (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (٢٠)) (الكهف : ١٩ ، ٢٠) .

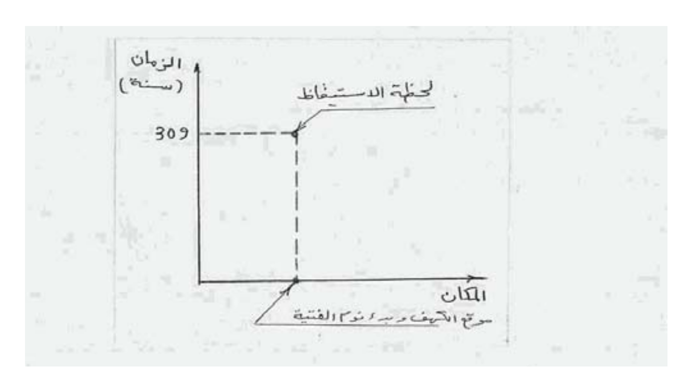
التقدير الثاني : تقدير الزمن المعتاد (زمن الراصد) . وهو الزمن الذي استغرقه نومهم حسب عدد السنين كما تعارف عليها الناس . قال تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً) (الكهف : ٢٥) نعم ، لقد مر عليهم ثلاثمائة وتسعة سنين وهم نائمون في الكهف . ماذا جرى خلال هذه المدة الطويلة ؟ لقد افتقدهم الناس فجأة ولم يعثروا عليهم وأصبحوا لغزاً محيراً ، وصار الناس يتناقلون خبرهم جيلاً بعد جيل ، ثم آمن قومهم من بعدهم ، فأصبح هؤلاء الفتية قديسين في نظرهم ، فلما عثروا عليهم بعد ذلك ، وبعد أن ماتوا حقيقة ، اختلفوا في كيفية تكريمهم . قال تعالى : (فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً) (الكهف : ٢١) .

التقدير الثالث : هو تقدير غير معلوم لأحد من الخلق ، بل هو مغيب عند الله تعالى ، فبعد أن قال تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً) . قال مباشرة في الآية التي تليها (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً) (الكهف : ٢٦) .

بعد ذلك لنا الوقفات التالية : -

١) يلاحظ أن " تقدير الزمن " لدى الفتية لم يتفاوت بعد هذا النوم الطويل حيث إنهم أجمعوا على التقدير الزمني بقولهم " لبثنا يوماً أو بعض يوم " ثم أيضاً أجمعوا على الاستدراك بقولهم : (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) . إنهم لم يدركوا أنهم كانوا في زمكان آخر خلال النوم .

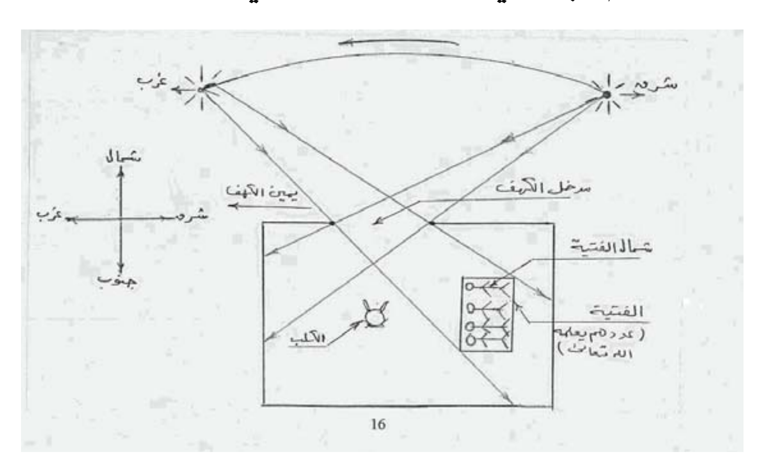
٢) إن نومهم الطويل لم يؤثر على التجاوب المنطقي بين الذاكرة وبين مركز تقدير الزمن في المخ . إذ إنهم قالوا " ربكم أعلم بما لبثتم " بعد أن لاحظوا تغير أشكالهم . وهذه الملاحظة فحواها الاستمرار الطبيعي لعمل الذاكرة . وما يدل على ذلك أيضاً تعاملهم مع الواقع الجديد من منظور الواقع القديم عندما ناموا جميعاً حيث قالوا (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً) . وهذا يدل على أن المعطيات المرسلة من الذاكرة إلى مركز تقدير الزمن في المخ كانت تعمل بشكل طبيعي . لقد عادوا إلى إحداثيات الزمكان الأول ولم يدركوا أن موقعهم على إحداثي الزمن قد تغير بفارق ثلاثمائة وتسع سنوات .



٣) من اللافت للنظر أن مركز تقدير الزمن في المخ لدى الفتية قد توقف عن العمل خلال نومهم الطويل رغم أن معطيات تقدير الزمن الخارجية جميعاً كانت في حالة قائمة . فتعاقب الليل والنهار كان أثره واضحاً في الكهف وبشكل يومي . قال تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) (الكهف : ١٧) . ومن جهتهم فإن عيونهم جميعاً ظلت مفتحة خلال نومهم . قال تعالى : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ) (الكهف : ١٨) ، ومعنى ذلك أن جهاز التقاط المؤشرات الزمنية وهو البصر ، وكذلك المؤشرات نفسها وهي وضوح تعاقب الليل والنهار من خلال وضوح أثر حركة الشمس في داخل الكهف ، كانوا جميعاً في حالة طبيعية ، ومع ذلك فإن " وحدة تحسس الزمن في المخ " لم تلتقط هذه الإشارات ، وفيه دليل على أن المخ عند النوم يصدر أمره إلى حاسة البصر بعدم القيام بوظيفتها حتى ولو كانت مفتحة . وفي ذلك دليل على أن الإشارات البصرية لا ترسل إلى وحدة تحسس الزمن في

المخ إلا بعد أن يصدر لها أمر بذلك من المخ ، وعند النوم يمتنع المخ عن إصدار هذا الأمر . بل الأكثر من ذلك أن المخ يصدر أوامره إلى جميع الأجهزة الخاصة بتحسس الزمن في الجسم بالتوقف عن إرسال أي إشارات خاصة بهذا القبيل إلى " وحدة تحسس الزمن في المخ " . وعندما أقول جميع الأجهزة فأقصد أنه ليس البصر وحده الذي يقوم بالتقاط وإرسال تلك الإشارات ، بل قد دلت الأبحاث الحديثة أن أجزاءً أخرى من الجسم لها دور في ذلك أيضاً . لكن الملاحظ حقاً كيف أن مركز تقدير الزمن في المخ لدى الفتية حافظ على جاهزيته للعمل بمجرد استيقاظهم رغم مرور هذه المدة المديدة على رقادهم ، فهل كان ذلك هو أحد أوجه حكمة تقلبهم أثناء نومهم ؟ فإن كان الأمر كذلك ، ولو على سبيل الافتراض ، فقد يكون من المناسب تسليط الضوء على كيفية حصول ذلك من حيث الظاهر . وبملاحظة قوله تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّه) (الكهف : ١٧)

. فإنه يمكننا تصور وضعهم الجغرافي كما هو في الشكل التالي : -



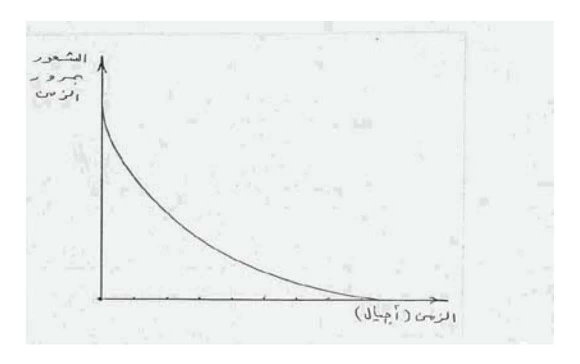
ثم نلاحظ قوله تعالى : (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) (الكهف : ١٨) . فهل عندما كانت الشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين كانوا ينقلبون ذات اليمين ، وعندما تقرضهم الشمس ذات الشمال كانوا ينقلبون ذات الشمال !! . الله أعلم .

٤) بعد أن اختفى الفتية في الكهف وفشل قومهم في العثور عليهم أصبح نبؤهم يتناقل عبر الأجيال المتعاقبة ، متحولاً بالأحداث شيئاً فشيئاً إلى تاريخ غابر . لكنه كان تاريخاً ، من حيث الزمن ، حافلاً بالأحداث والوقائع التي كان الناس يعايشونها بكل أحاسيسهم بما فيها الإحساس بمرور الزمن . لكن كيف كان هذا الإحساس بخصوص خبر الفتية ؟!! . هل كان عادياً طبيعياً أم كان إحساساً بطيئاً أو سريعاً ؟ . ليس الأمر واحداً بين الأجيال التي

تعاقبت منذ اختفائهم . فالجيل الأول وهو الجيل الذي كان يبحث عنهم استبطأ رجوعهم .

لقد كان جيلاً في حالة ترقب وانتظار وبالتالي فإن شعوره بمرور الزمن كان بطيئاً ، إلا أنه مع معايشة الوضع الجديد ، وهو وضع الاختفاء ، ومع تفاقم تعاقبه صار الشعور بمرور الزمن لدى الناس فيما يخص موضوع الفتية طبيعياً .

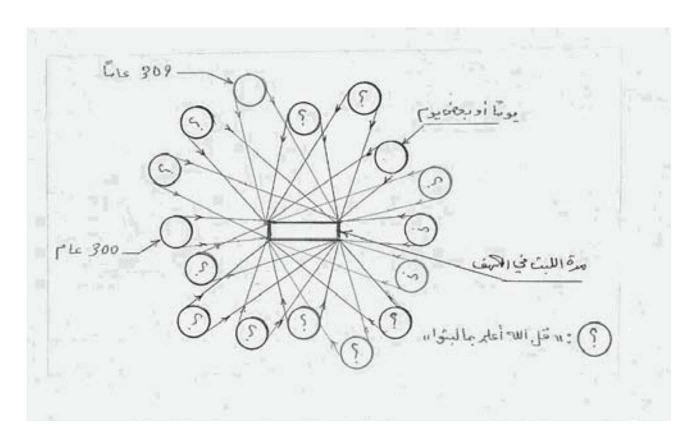
ثم إن الأجيال المتأخرة لم تعد تشكل القضية في حسها الزمني شيئاً يذكر ، وهذا تماماً مثل أي حادثة نتذكرها كانت قد وقعت في التاريخ المنصرم ، فإننا نذكر تاريخ حدوثها أو وقوعها دون أن نشعر بعمق العودة الزمنية في نفوسنا وإن كنا ندركها بعقولنا . ولكن عندما خرج الفتية بعد هذا الغياب الطويل ورآهم الناس انتعشت فيهم فوراً حاسة تقدير الزمن ولكن ليس بطريقة إحساس الزمن المعايش للحادثة ، بل بطريقة الإحساس بالاستغراق التاريخي للزمن . كأن يقال مثلاً : ما شاء الله ، منذ ثلاثة قرون وأنتم في الكهف ، يا الله ، كم هي فترة طويلة !!. إنه شعور آني بالاستغراق التاريخي للزمن ، ينتهي غالباً بعد التعبير عنه بمثل الجملة التي ذكرتها .



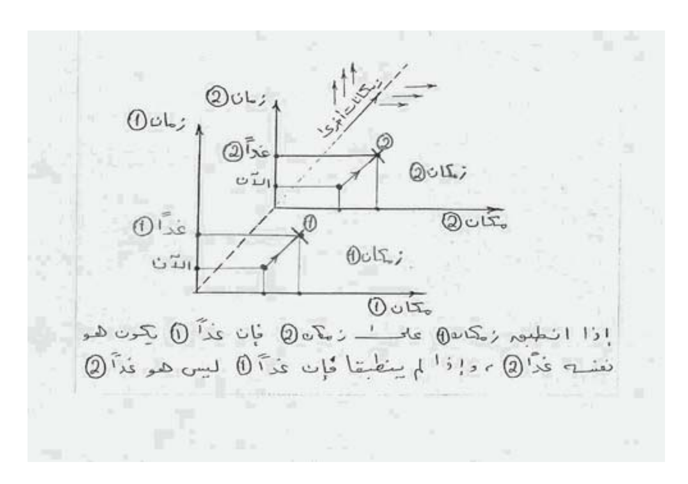
٥) لقد لبث الفتية في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً وذلك حسب تقويم الزمن البشري . (ثلاثمائة سنة حسب التقويم الشمسي وثلاثمائة وتسع سنين حسب التقويم القمري) لكن كم لبثوا في تقاويم الزمن الأخرى ؟ لا يستطيع أحد الإجابة على هذا السؤال إلا خالق السموات والأرض . إن هذا الزمن وهو 309 سنين له تقديرات زمنية أخرى كثيرة جداً لا يعلمها إلا الله .

فالموضوع متعلق بالحادثة نفسها من حيث هي ، لكن تقدير وعائها الزمني يختلف باختلاف الإحداثيات التي يطل منها الرائي على إحدثيات الحادثة . ولما كانت الإحداثيات الأخرى غير معلومة لنا ، بل هي غيب يعلمه الله تعالى فإن التعبير القرآني جاء مبيناً تبييناً دقيقاً جداً لهذا الجانب . فقال تعالى : (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) . بحسب مختلف الإحداثيات ثم قال : (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) . أي أن الله عز وجل الذي له غيب السموات والأرض هو فقط من يعلم عدد تلك الإحداثيات وتعدد الزمكانات . انظر الشكل . ولما كان الأمر محجوباً بالنسبة إلينا ولا نملك وسيلة لكشف حجبه الغيبية ، فإن الله تعالى أرشدنا إلى أن هذا الأمر لا يمكن العلم به إلا من

الله تعالى ، بعلم يعلمه أحداً من خلقه فقال (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) ، نعم ، لقد أبصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن حادثة أهل الكهف وأسمعنا بالقرآن تفاصيلها . ولذلك ينبغي الوقوف عند حدود ما أبصرنا به وما أسمعنا . ولعل المعالجة المتأنية لقضية الزمن في هذه الحادثة هي واحدة من استشرافنا لأبعاد ما أبصرنا وما أسمعنا .



٦) في سياق ذكر قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم جاء قوله تعالى :(وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (الكهف : ٢٤) . وقد جاء في التفاسير أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله اليهود عن قصة الفتية والروح والرجل السواح في الأرض أي ذي القرنين قال لهم إنه سيجيبهم غداً ولم يقل إن شاء الله ، فتأخر عليه الوحي في إجابته على أسئلتهم بسبب ذلك (١) انظر تفاصيل تلك الروايات في تفسير ابن كثير ٧١/٣ .





ولا شك أن الآية فيها إرشاد لأهمية تعليق جميع الأمور بمشيئة الله تعالى ، وأن هذا من صلب عقيدة المسلم ، و لكن لا بأس أن نحاول استشفاف بعض المكنونات في الآية فيما يخص الحديث عن الزمن ، خاصة إذا علمنا أن القرآن الكريم يخاطب الأجيال المتعاقبة إلى قيام الساعة ، وأن فيه من مدلولات الآيات ما يلبي جميع الاحتياجات المتجددة على مر العصور ، وكذلك ما يغطي جميع المستجدات خلالها . وكلمة " غداً " تفيد اليوم التالي بحسب تقديرنا الزمني البشري المعتاد ، ولكن " غداً " قد تعني لبعض المخاطبين في زمكان آخر برهة زمنية أخرى. بمعنى أن ما يكون " غداً " بحسب الزمكان عندي يعني برهة أخرى بحسب الزمكان عند غيري . فعندما يأتي " الغد " عندي فلربما لا يكون قد جاء عند غيري بعد ، ولذلك فهذا وعد مخلوف ، وليكون وعدي حقاً فإنه لا بد أن يكون غد المخاطبين كغد الذين خاطبتهم ، هذا إذا شاء الله تعالى تحقيقه . فإذا شاء الله تعالى أن يكون غدهم غير غد الذي خاطبهم فلا بد أن يقع الإخلاف في الموعد . ولذلك فإن ربط الوعد بالمشيئة الإلهية يشمل كل حالات المساحة التي يغطيها الموعد سواء كان المخاطب في زمكان الواعد أو في أي زمكان آخر . ومثال ذلك أن يقول شخص لآخر وهو يودعه لدى ركوبه في محطة فضائية ذات سرعة فائقة متوجهة نحو نجم بعيد سأستقبلك غداً عندما ترجع ، وعندما رجع هذا الشخص بحسب زمنه ، سأل عن صاحبه الذي وعده أن يستقبله في مهبط المحطة فقيل له إنه مات منذ عشر سنين . والقضية ببساطة أن الغد في زمكان الشخص المودع لم يكن هو الغد في زمكان الشخص الذي سافر في المحطة الفضائية .

إذ إن الله تعالى لم يشأ أن يتحد الغد لدى الشخصين . فلو شاء الله تعالى أن لا يسافر الشخص الآخر في المحطة الفضائية لكان بالإمكان أن يلتقيا في يوم غد المودع إذ سيكونان في زمكان واحد - إذا شاء الله تعالى أيضاً - وهذا جانب إضافي في فهم الآية سوى الفهم المعلوم منها ابتداءً لدى أول وهلة والمتعلق بوعد القدرة على إنجاز الفعل غداً إن شاء الله تعالى .

٧) ولنا وقفة هامة مع قوله تعالى في سياق قصة أصحاب الكهف : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً) (الكهف : ٢٤) .

والمعنى الذي يخصنا في النسيان هو أن الذاكرة لم تزود مركز تقدير الزمن في المخ بمتعلقات حادثة معينة وبالتالي فإنه عاجزعن إبداء أي تقرير إزاءها ، بمعنى أن هذه الحادثة بالنسبة لهذا الشخص لم تقع (لأنه لا يتذكرها) وبالتالي فلا وعاء زمني لها ، فهي بمثابة شيء " لم يقع في لا زمن " مقابلة لجملة " وقع في زمن " .

ولكن الآية ترشدنا إلى كيفية إعادة استحضار الأمر كله من حيث هو ومن حيث زمن وقوعه أو زمن استغراق حدوثه . والإرشاد واضح في الآية وهو ذكر الله تعالى . إن مفعول ذكر الله تعالى هو إنعاش للذاكرة ، وبقدر ازدياده يزداد هذا الانعاش إلى حين يحصل التذكر بالذكر . ومع حصول التذكر تبدأ الإشارات الخاصة بهذا الحدث تتدفق من الذاكرة إلى مركز تقدير الزمن في المخ الذي بدوره يعطي التقديرات الزمنية للحادثة التي وقعت . أي أن الذكر ينقل الناسي من " لا زمكان " إلى " زمكان " الحدث ، أي أن يستل الحدث من الذاكرة



التي بدت كأنها في لا زمكان ثم يعيد تجسيده في " زمكان " المتذكر لحظة التذكر .

على أن الآية لها وجه آخر في الدلالة ، وهي أنه إذا حاول شخص ما أن يتذكر أمراً فلم يتذكره فعندها يذكر الله تعالى بأن يدعوه أن يهديه لشيء أقرب رشداً من الذي نسيه . أو أنه إذا نسي ما التزم به ، كأن يكون قد نسي الوفاء بموعد لقاء أو دفع ذمة مالية ، ثم تذكر ما التزم به بعد أن فات موعده فليذكر الله تعالى ويسأله أن يهديه لأقرب رشداً من هذا الذي فاته . وما يخصنا هنا هو ملاحظة كلمة " أقرب " فهي قد تعني القرب المعنوي أو المكاني أو الزماني . وإذا أخذناها بهذا المعنى الأخير فهي تتضمن نوعاً من الضغط على مركز تقدير الزمن في المخ ناشئ عن استعجال تعويض ما نسيه أو فاته ، وهذا الاستعجال يجعل مركز تقدير الزمن في المخ يعطي شعوراً خاصاً بمرور الزمن فيما يخص هذا الأمر المعين ، في حين يبقى تقديره طبيعياً للأمور الأخرى .

فتأمل هذا المعنى جيداً في ازدواجية عمل مركز تقدير الزمن في مخ الإنسان .

وقبل مغادرة هذه المحطة نلاحظ كيف جاء سياق هذه الآية في خضم الحديث عن زمن مكوث أصحاب الكهف، وكأن فيها إشارة إلى أن النوم الطويل مظنة حصول بعض النسيان لما كان قبله ، ولا يمكن التغلب على ذلك النسيان إلا بذكر الله تعالى وطلب الهداية منه .

افتراق الزمكانات واتحادها

الذي مر على قرية خَربَة

إن تداخل الزمكانات ، افتراقاً أو اتحاداً ، وجه من أوجه القدرة الإلهية المطلقة .

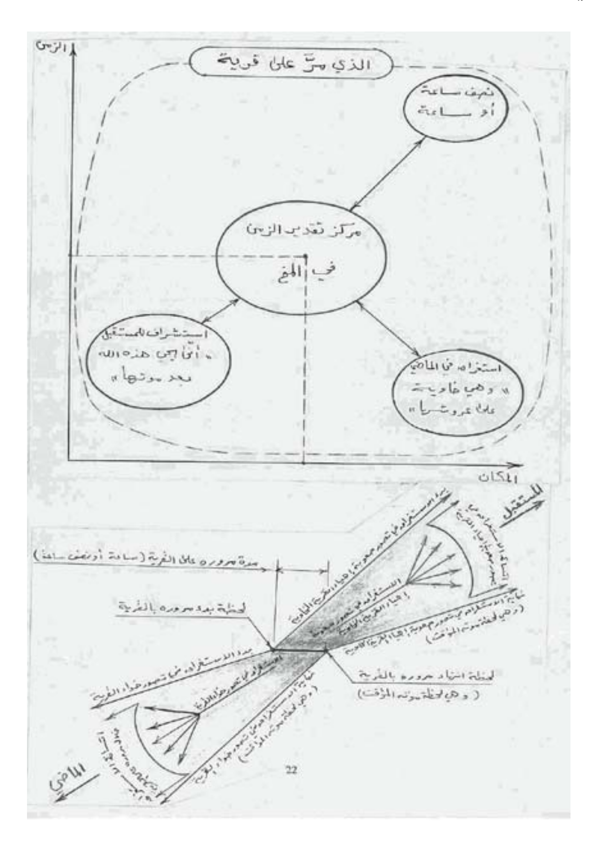
قال تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة : ٢٥١)

ولنا بخصوص موضوعنا مع هذه الآية بعض الوقفات : -

١- في اللحظة التي وقعت فيها عين الرجل (يقال إنه عزير) على القرية افتتح مركز تقدير الزمن في مخه صفحة تسجيلية جديدة في الزمكان لهذا المنظر ، واستمر هذا التسجيل الزمني طيلة فترة " مروره " على القرية (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) . هذه الفترة غير معلومة لدينا ولتكن مثلاً نصف ساعة أو ساعة حسب التقدير الزمني المعتاد ، وليس هذا التقدير مهماً جداً بالنسبة لنا .



٢- عندما كان الرجل يمر على القرية كانت عيناه تتفحص الخراب الذي قد حل بها ، فهي قرية (خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) ، وهنا بدأ مركز تقدير الزمن في مخه يعمل في الزمكان في اتجاهين متعاكسين ، الأول في اتجاه الماضي ليقدر الفترة التي قد مرت على هذه القرية وهي على هذه الحالة الخربة ، الاتجاه الآخر كان في استشراف المستقبل (أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) " ما ذكرناه في الوقفة الأولى والثانية كانا يحدثان في آن واحد في نفس الإحداثيات " .



٣- فجأة أمات الله عز وجل الرجل وهو على تلك الحال من الاستغراق في التقديرات الزمنية المتفاوتة من جهة والمتعاكسة أيضاً من جهة أخرى ، واستمر موته مائة عام ، فماذا حصل خلال ذلك ؟!

أ - بالنسبة للرجل ، فقد توقف مركز تقدير الزمن لديه عن العمل في اللحظة التي أماته الله تعالى فيها ، وكان مؤشر الزمن في مركز تقدير الزمن في المخ على الوضع الذي ذكرنا .

ب - بقي طعامه وشرابه على حاله دون أن يصيبه أي تعفن أو تحلل .



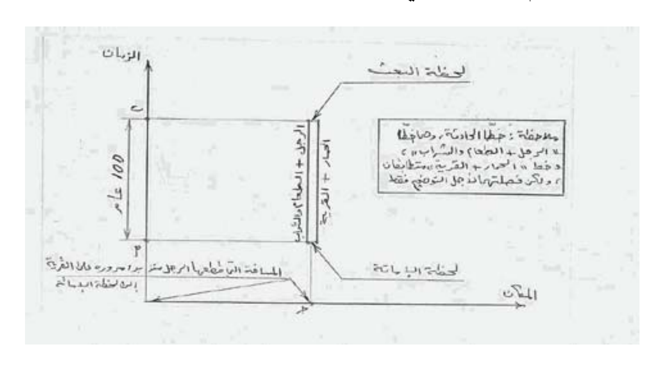
ج – في حين أن حماره قد أصبح هيكلاً عظمياً متفككاً مهترئاً افترقت عظامه وتبعثرت أجزاؤه .

د – وأما القرية فقد جاء إليها أقوام فأعادوا عمارتها وأحسنوا تشييدها وأكملوا خدماتها فأصبحت مؤهلة للسكن فقطنها من الناس .

نحن الآن أمام مشاهد مختلفة من حيث الزمن : -

أ – فيما يخص الرجل فإن الزمن قد توقف بالنسبة إليه . أما بالنسبة لغيره فالزمن جار . وعلى هذا فجميع الأحداث التي حصلت خلال مائة عام من لحظة موت الرجل إلى لحظة بعثه قد حصلت في " اللازمن " بالنسبة له وحصلت في " مائة عام " بالنسبة لغيره . لكنه عندما بعث انتعش مركز تقدير الزمن لديه شيئاً ما بما لم يستطع معه أن يقدر المائة عام بأكثر من " يوم أو بعض يوم " .

ب – طالما أن الرجل كان راكباً على حماره ومعه طعامه وشرابه وحصل له الموت فجأة فهذا يعني أن الظروف البيئية واحدة . فلماذا بقي جسد الرجل على حاله لم يتحلل ؟ وأيضاً بقي الطعام والشراب على حالهما فلم يتعفن الطعام ولم يأسن الماء ؟ في حين أصاب الحمار ما أصابه من تحلل للحمه وتفكك لعظامه . لا شك أن ذلك يبرز قدرة الله تعالى وأن كل شيء في الكون محكوم بقضائه وقدره ووفق علمه ومشيئته وإرادته . ولأجل تقريب تصور هذه الحالة يمكننا أن نرسم الشكل التالي : -



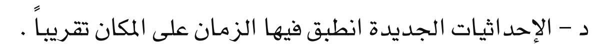
يلاحظ في هذا الشكل ما يلي : -

أ – أن مكان الحادثة لم يتغير ، و هو المشار إليه بموضع ج .

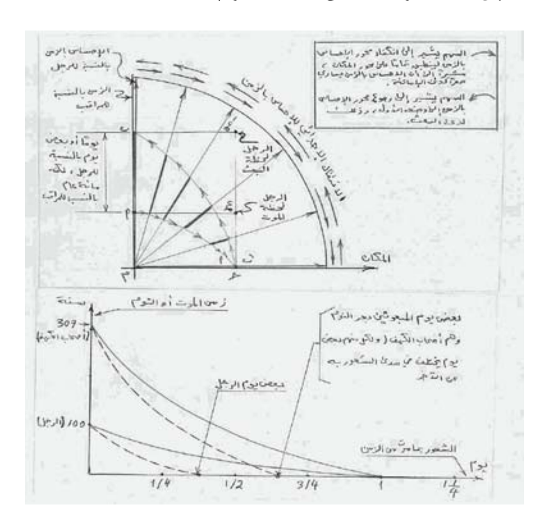
ب – إن إسقاط الحادثة على محور الزمن أشار إلى ١٠٠ عام حسب الزمن المعتاد وفق ساعات الأحياء .

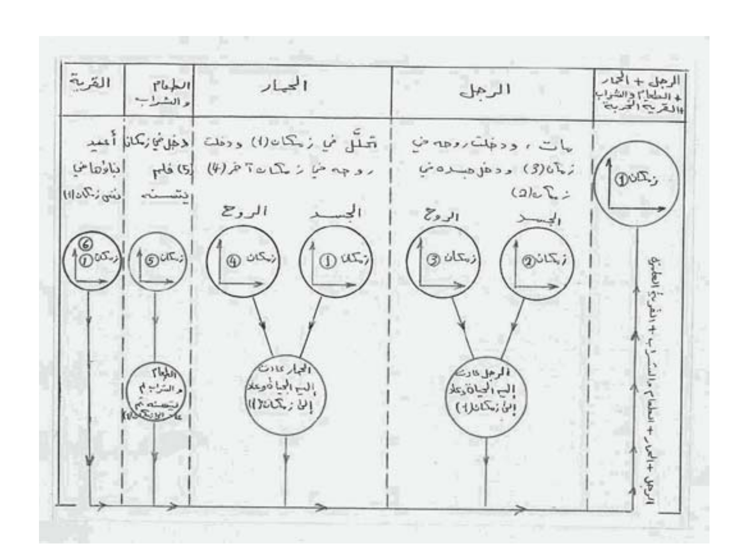
ج – لكن بمجرد أن حصلت الإماتة دخل الرجل وطعامه وشرابه في إحداثيات زمن جديدة في حين بقي الحمار والقرية في نفس إحداثياتهما بدون تغيير .





د - الإحداثيات الجديدة انطبق فيها الزمان على المكان تقريباً .





الانتقال بين الزمكانات

الإسراء والمعراج

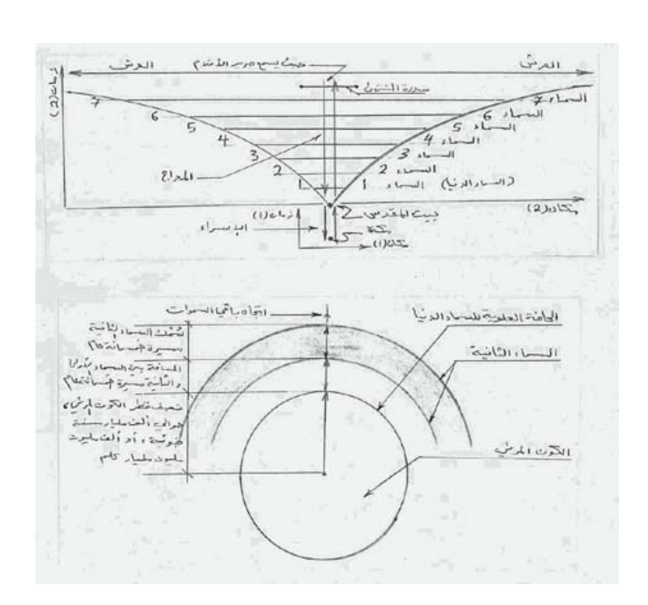
قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء : ١) . وقال تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (النجم : ٥ – ١٨) .

فتحصل لدينا زمكانان : -

الأول : زمكان الإسراء وهو نفس زمكاننا .

الثاني : زمكان المعراج وهو زمكان آخر .

ولكل زمكان ما يميزه من الخصائص .





سهم الزمن

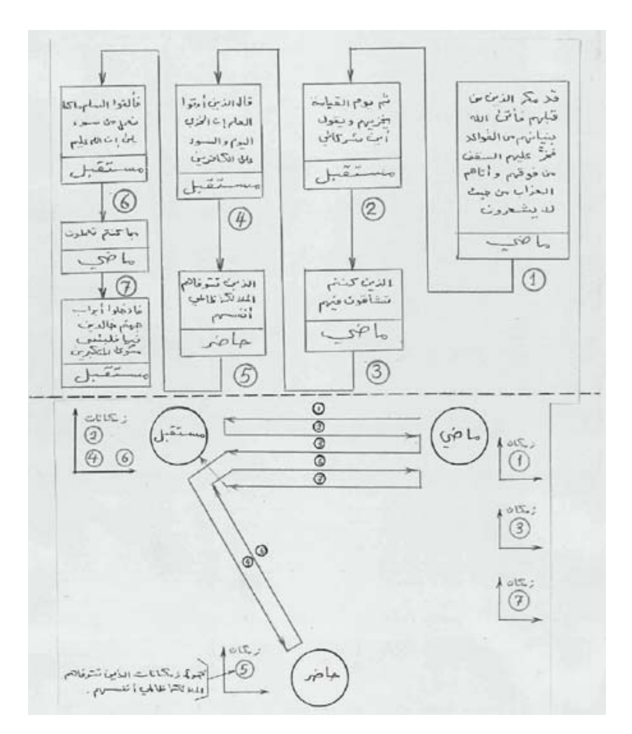
ولنا وقفات مع " سهم الزمن " من أبرزها : -

الوقفة الأولى : اختراق الزمن .

لقد أعطى الله تعالى الإنسان قدرة عقلية تخيلية بحيث يستطيع بها أن يخترق الزمن بالاتجاهين المتعاكسين، الماضي والمستقبل، بما يعادل مليارات السنين وذلك في لحظة واحدة ، أي أن بقدرته أن يسترجع الماضي ويستجلب المستقبل ويستجمعها في لحظة الحاضر !! .

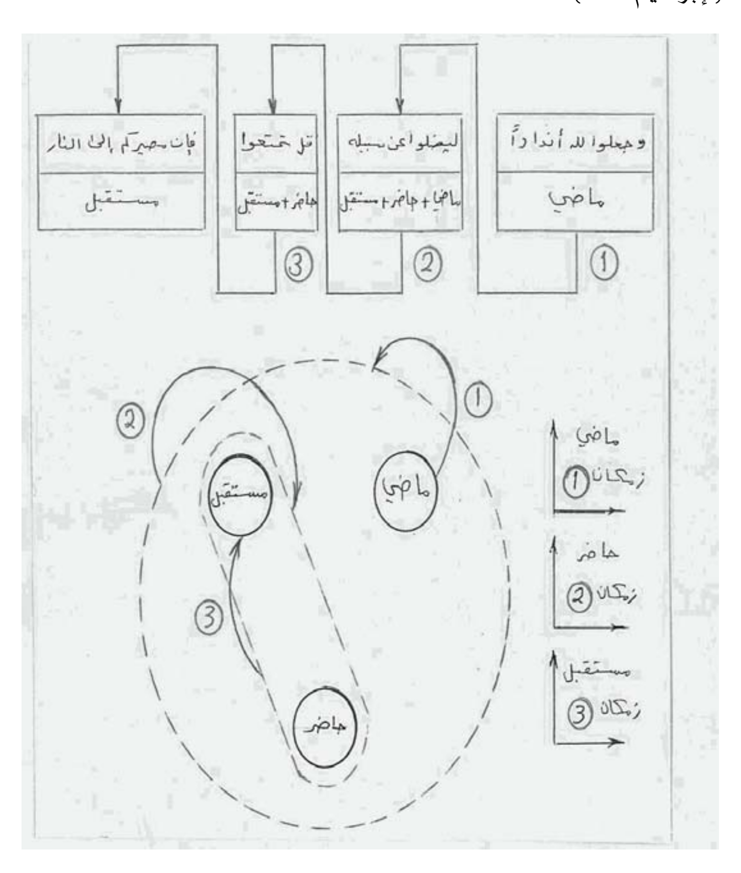
أي أن يختصر سهم الزمن بماضيه ومستقبله في لحظته هو !! . ثم بإمكانه أن يوسع لحظة حاضره حسب إرادته ليتمكن من الاستغراق والتمعن في ما استرجعه من الماضي وما استجلبه من المستقبل . كما أنه يستطيع أن ينتقل بين الماضي والحاضر والمستقبل جيئة وذهاباً في برهة تعد بالثواني !! . وأضرب لذلك مثالين : -

١ – قال تعالى : (النحل : ٢٦ – ٢٩) .





٢ – قال تعالى : (إبراهيم : ٣٠)



تستغرق قراءة هذه الآية حوالي ١٠ ثواني . إن زمكان (١) يمثل الماضي . وهو مجموعة زمكانات ، عددها بعدد الذين جعلوا لله أنداداً ، وأما زمكان الذين يضلون عن سبيل الله فهو عبارة عن زمكانات كثيرة ممثلة في زمكان (١) وزمكان (٢) وزمكان (٣) (الماضي + الحاضر + المستقبل) ، فهي شاملة للزمكانات المفردة (أي لكل فرد) المشمولة بكل منها . وأما قوله تعالى (قل تمتعوا) فيشمل زمكان (٢) وزمكان (٣) (الحاضر + المستقبل) بما فيها من زمكانات مفردة . وأما قوله تعالى (فإن مصيركم إلى النار) فهو ممثل بزمكان (٣) (المستقبل) بما فيه من زمكانات مفردة .

الوقفة الثانية : الفرد وسهم الزمن

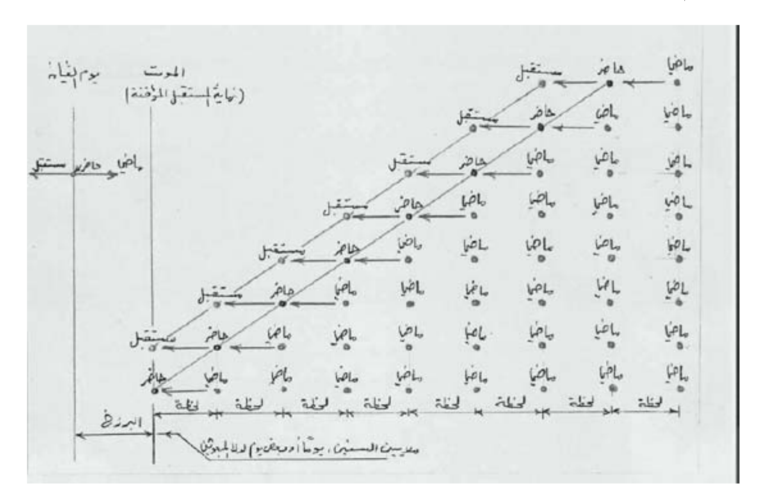
كل فرد يسير على خط سهم الزمن له في كل لحظة ثلاثة أبعاد زمنية : -

١ – لحظته (وهي الحاضر) .

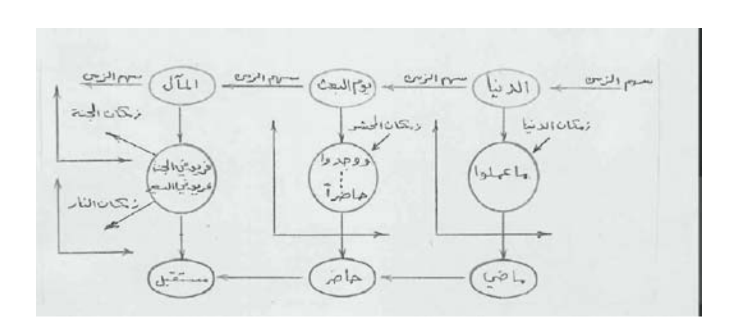
٢ – اللحظة التي قبلها (وهي الماضي) .

٣ – اللحظة التي بعدها (وهي المستقبل) .

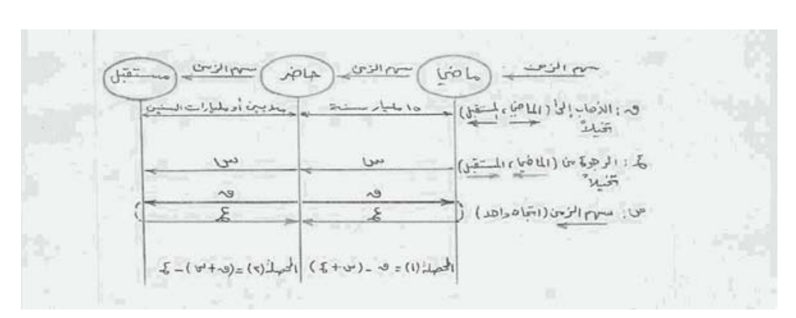
وعندما تأتي اللحظة التالية ، وهي التي كانت مستقبلاً ، فإنها تصبح حاضراً ، وتصبح اللحظة التي كان فيها ماضياً ، وتبقى اللحظة التي كانت ماضياً ماضياً ، فهناك باستمرار تقلص في لحظات المستقبل لصالح تكدس في لحظات الماضي . وفي لحظة الموت وعند انتهاء الأجل يصبح الكل ماضياً ، وهو الذي يحمله الإنسان على كاهله عندما يبعث يوم القيامة من جديد ، وعندها



وعندها يبدأ تصور الزمن من جديد ، وتصبح لحظة البعث حاضراً وأيام الدنيا ماضياً والجنة أو النار مستقبلاً . انظر الشكل . إقرأ إن شئت في تصور هذا المعنى قوله تعالى : (مَا عَمِلُوا حَاضِراً) (الكهف : ٤٩) وقوله تعالى : " فريق في الجنة وفريق في السعير (الشورى : ٧) . فقوله تعالى : (ما عملوا) يمثل الماضي، وقوله ووجدوا .. حاضراً يمثل (الحاضر) في ذلك اليوم، أي أن الماضي أصبح بين أيديهم حاضراً ، وقوله تعالى (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) يمثل المستقبل بالنسبة للحظة الحاضر ، أي وهم في المحشر بعد البعث .



لقد أعطى الله تعالى الإنسان قدرة استثنائية في عقله تمكنه من اختزال مليارات السنين في ما هو قريب من " لا زمن " انظر الشكل : -



المحصلة الكلية = محصلة ١ + محصلة ٢

= ق – (س + ع) + (ق + س) – ع

= ق – س – ع + ق + س – ع = ٢ (ق – ع) = صفر

أي أن الذهاب للماضي ثم إلى المستقبل عبر الحاضر يستغرق لا زمن ، أي لحظياً . ويمكن أن يساوي زمناً قليلاً فيما لو تفاوت الاستغراق في التخيل بين الماضي والحاضر . فتكون الرموز بدلاً من ق ، ع هي : (ق ١ ، ق ٢ ، ع ١ ، ع ٢) .

حيث ق ١ = ق ٢ و ع ١ = ع ٢ .

خاتمة

وبعد .. فقط طفنا في أرجاء بعض الزمكانات مما استنتجناه من بعض آيات الذكر الكريم . وقد تبين لنا سعة الإعجاز في هذا القرآن الكريم . وإن الذي بينته في هذه الدراسة المختصرة هو مجرد إشارات خاطفة ربما تفتح الباب واسعاً أمام الباحثين والمتخصصين لينهلوا من عباب هذا البحر الخضم الذي لا ساحل له فيستخرجوا من لآلئه ويستخلصوا من جواهره ، والله تعالى هو القائل: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام : ٣٨) .

ما كان في هذه الدراسة من الحق فمن الله وحده وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .